تحدِّياتُ السَّلام

عمرو موسى(*)

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

أودُّ أولًا أن أتقدم بالشكرِ لفضيلة الإمامِ الأكبرِ، شيخِ الجامعِ الأزهرِ، الدكتور الشيخ أحمد الطيب، لمبادرته بالدعوةِ إلى هذا المؤتمرِ، ولاختيار موضوعه المتعلِّق بالتحدياتِ التي يُواجِهُها العالَمُ، وسلامُ العالمِ في المرحلة الحاضرةِ، كما أتقدم له بالشكر شخصيًّا لدعوته للمشاركةِ في هذا المؤتمرِ.

موضوعُ السَّلام موضوع معقَّدٌ وليس بسيطًا، السَّلامُ وتحدياتُه نستطيع أن نتحدثَ في شأنهما في مؤتمراتٍ ومؤتمراتٍ ومؤتمراتٍ، ولكنَّ المهمَّ أن نتحدث بصراحةٍ وأمانةٍ، ما هي التحدياتُ إذا أردنا أن نتحدث عن النقاط الأساسيةِ التي تؤثر في الموضعِ الحاليِّ وتمثِّل تحديًا للسَّلامِ؟

أولُ التحديات كانت في نهايةِ الحربِ الباردةِ، حين ظهرت نظريةُ صراع الحضاراتِ، الصراع بين الدياناتِ، وتحدَّدَ الإسلامُ كعدوٍّ للحضارةِ البازغةِ؛ الحضارةِ الغربيةِ، الحضارةِ التي وُصِفَت بأنها نهايةُ التاريخِ، وتشكَّل الفكرُ العالميُّ حول هذه النقطةِ؛ أن هناك صراعًا للحضاراتِ، وأن الخَصمَ الأولَ هو الإسلامُ، أو يتعلق بـ الدين الإسلاميِّ، أو الفكر الإسلاميِّ.

في الوقت نفسِه يجب أن نكون أُمناءَ مع أنفسنا، لقد قصَّرنا، فإننا حين نعيشُ القرنَ الحاديَ والعشرين فيجب أن نطرحَ بمنطق القرن الحادي والعشرين وجهةَ نظرنا،

والحقيقةُ أن ما استمعتم إليه اليومَ من فضيلة شيخ الأزهرِ وهو يتحدثُ عن النقاط الأساسيةِ في العَلاقة الدينيةِ والعلاقة الحضارية -هو الأساسُ الذي يجبُ أن نستندَ إليه في منطقنا، وفي حوارنا، وفي طرحنا العالميِّ.

كما أسعدني أن استمعتُ إلى مُطران القسطنطينيةِ قائلًا بكل صراحةٍ: الإسلامُ لا عَلاقة له بالإرهابِ، هذا الطرحُ يجب أن يتبلور، وأن نُصِرَّ عليه، ونتحدثَ فيه إلى كل من يهتمُّ بالأمر في أركانِ العالمِ الأربعةِ التي شُوِّهَت فيها سمعةُ الإسلامِ.

إذًا الموضوع فكرٌ في الأساس، فكرٌ تحدَّى الإسلام واعتبره خَصمًا، وفكرٌ لم يرتفع إلى هذا المستوى من التحدِّي، واليومَ أعتقد أن هذا المؤتمرَ هو بدايةٌ طيبةٌ صحيحةٌ سليمةٌ جريئةٌ لوقفة التحدي هذه، ثم إلى جانب مُعضِلةِ الفكر توجد مُعضِلةُ النفاق في العَلاقات الدوليةِ، وقد تمَّت الإشارة إلى هذا في بعض الخطاباتِ والكلماتِ هذا الصباحَ، هناك من القُوى العاتيةِ الدوليةِ والإقليميةِ مَن يشارك ويُعلِنُ أنه ضد الإرهاب، وضد داعش، وضد كلِّ هذه المنظمات العنيفةِ، ولكنه يَدعَمُها ويؤيدها ويُموِّلُها، هذا نفاق سياسي خطيرٌ؛ لأنك لا تعرف مَن العدوُّ، ومَن الصديقُ.

فيما يتعلق بداعش، ومنذ أكثرَ من سنتين، بدأت هجرةُ داعش إلى شمال إفريقيا، وكان يُقال لنا: إنه لو ذبابةٌ تطير فوق مياه البحرِ المتوسطِ فإنه يُمكِنُ رصدُها، كيف انتقل داعش بمئات من مُحاربيه، بل الآلاف، من منطقة الهلالِ الخصيبِ من العراق وسوريا إلى ليبيا عبرَ البحرِ المتوسطِ؟ مَن نَقَلَهم؟ من دفع لهم؟ من سمح

لهم؟ هذه أسئلةٌ مهمةٌ، وستجدُ في إجابتها أن من ضمنِ مَن سمحوا لهم مَن هم أعلىٰ صوتًا إزاءَ الإرهابِ والمنظماتِ الإرهابيةِ!

هناك نقطةٌ أخرىٰ هي انعدام العدالةِ، كيف يُمكِنُ أن يتم التساؤل: لماذا تغضبون؟ لماذا اليأس؟ لماذا القنوط؟ لماذا الإحباط؟ والجوابُ: بسبب هذا التعاملِ مع القضية الفلسطينية، فربما تثير -بل هي تثير- أفكارًا متطرفة، تؤدِّي إلىٰ العنف؛ بسبب منع العدالةِ عن شعبِ فلسطين، وهي قضية تُهِمُّ كلَّ المسلمين.

ونقطة أخيرة أودُّ أن أُشير إليها هي أخطاؤنا وسوءُ إدارة الحكمِ فيما يتعلَّق بالتعليمِ، ويتعلَّق بالخدماتِ، ويتعلَّق بالصحةِ، ويتعلَّق بالكثير من أسباب الحياةِ، والسعادة هي المسئوليةُ التي تتحمَّلُها الحكوماتُ والنُّظُمُ؛ لتأتيَ بها إلىٰ الناسِ، أما أن تُسبِّبَ لهم التعاسة بالظلمِ وسُوءِ الإدارة واضطرابِ الأولويات -وهو ما رأيناهُ في عموم العالمِ الإسلاميِّ- فهذا هو ما أدَّىٰ إلىٰ اليأسِ والقنوطِ والإحباطِ.

وفيما يتعلَّقُ بمسائل التنميةِ؛ فالفقر هو العدوُّ الأساسيُّ للناس هنا وفي كثيرٍ من الدُّوَلِ الإسلاميةِ، وكذا الجهلُ، والمرضُ، والسلبيةُ، هذه كلها أمورٌ جعلت التنمية تنميةً ضعيفةً لا تستطيع أن تتعاملَ مع هذه الجموع الهائلة التي تريد العيشَ، وتريد الرخاءَ، كما تريد الكرامةَ.

إذن الفشلُ في التنمية أيضًا أحدُ الأسباب الرئيسة التي صعَّبت من الوصولِ إلىٰ هذا السَّلامِ الذي نرجوه، فإذا أردنا أن نتعامل وأن نتكلم بصراحةٍ، كيف نُقيم

السَّلام؟ وماذا علينا -نحن أصحابَ الديانات السماوية- أن نفعلَ؟ وكيف علينا أن نتصرَّفَ؟

الجوابُ: أنا أعتقد أن الموضوعَ ليس فقط موضوعًا دينيًّا، وإنما هو أيضًا موضوعٌ سياسيٌّ، أي يجب أن نعود مرَّةً أخرىٰ عن الفكر المضطربِ، ونعود مرة أخرىٰ إلىٰ رؤية الأمورِ الرؤيةَ السليمةَ، وأن نضبطَ موضوعَ النفاقِ في العَلاقاتِ الدوليةِ والعَلاقات الإقليميةِ، وأن نحقِّقَ العدالةَ، ونطالبَ بالعدالةِ، ونعمل علىٰ تحقيقِ التنميةِ السليمةِ المُستدامةِ بحقٍّ، وبأمانةٍ، وبصراحةٍ، وبفاعليةٍ.